نظرية الحقول المفاهيمية:

انطلاقا من وقوفه على الضعف النظري عند كل من بياجيه وفيغوتسكي والقيام بتحليله أسّس فرنيو نظريته للحقول المفاهيمية. واعتمد في ذلك على ما سماه بـ "نظرية المرجعية" "Théorie de la référence" التي رأى بأنها تمثل النقص الفادح عند الرجلين، بإظهار العلاقة الوطيدة بين "المرجعية" و"الواقع". وقد تمكّن من بناء نظريته بتوضيح العلاقة بين هذين المفهومين الأخيرين متسائلا: "ولكن ما المقصود بالمرجعية؟ إنها الواقع بطبيعة الحال، ولكن أيّ واقع؟" .

يذهب فرنيو في الإجابة عن السؤال المطروح إلى القول بأن هناك قراءتين ممكنتين "للواقع": الواقع من منظور الأشياء والواقع من منظور الوضعيات، وهما قراءتان مختلفتان. فمن خلال القراءة الأولى يمكن أن ننتقد بياجيه من حيث أنه اهتم أكثر بالتفاعل بين الفرد والشيء "interaction sujet-objet" عكس اهتمامه بالتفاعل بين الخطة والوضعية "interaction schème-situation" أو الفرد والوسط الاجتماعي. يقول فرنيو بهذا الخصوص: "يمكن أن ننظر إلى الواقع كما لو كان مجموعة أشياء مزودة بخصائص وذات علاقات بأشياء أخرى...". وتنتج عن هذه النظرة للواقع معرفة ذات بنية احتمالية أي أنها غير مؤكدة. وهذا ما ينمّ عنه "الخطاب العادي للعلم والتكنولوجيا كما يتجلّى في المقولات والنصوص العلمية والتقنية" (12).

أما القراءة الثانية للواقع ففيها تركيز أكثر على العلاقة بين الفرد والوضعية وهي علاقة اجتماعية، علاقة غنية بالوجدانات، أي أنها مشحونة بالقلق والخوف والتوقعات، لأن الفرد يجد نفسه منغمسا في وضعية يمكن يرى نفسه غير مسيطر عليها: "يمكن أن ننظر إلى الواقع على أنه مجموعة وضعيات ينخرط الفرد فيها بصفة فعالة وعاطفية. وعليه فإن الواقع يعاش بطريقة درامية لاسيما بما يتميز به هذا الجانب الدرامي من خاصيتين أساسيتين ألا وهما النشاط والوجدان".

الواقع أن القراءتين هاتين للواقع من طرف فرنيو تنمّان عن انطلاقة لديه من تصور بياجيه لعوامل النمو العقلي المعرفي التي حددها في أربعة تحديدا جيدا لاسيما بانفراده عن المنظّرين الآخرين بالعامل الرابع ألا وهو "عامل التوازن الذي لقي من أجل اعتباره عاملا رابعا مسؤولا عن النمو معارضة شديدة مما جعله يدخل في مناقشات حادة أحيانا مع غيره من العلماء حتى يقنعهم بوجهة نظره".